الخوارج في كتاب الكامل في اللغة والادب للمبرد(٢٨٥هـ/٨٩٨م) دراسة تاريخية مقارنة

أ.م.د. سعد كاظم عبد الجنابي
كلية التربية/ جامعة القادسية
alganabisaad@yahoo.com

الخلاصة:

اخذت قضية الخوارج مساحة كبيرة من مؤلفات المؤرخين المسلمين، لما لهذه الفئة من أثر واضح في حركة التاريخ الاسلامي، فظهورهم المبكر جعلهم جزءاً من الأحداث المهمة في الدولة العربية الاسلامية، حتى اصبحت فرقتهم خطراً كبيراً يهدد مؤسسة الخلافة على الصعيدين السياسي والفكري، إذ تبنت هذه الفكرة آراء سياسية مخافة تماماً للمنظور الاسلامي، بالإضافة الى آرائهم الفكرية التي تبنوها والتي بدأت تنتشر في مختلف اقاليم الدولة.

الكلمات المفتاحية: الخوارج، كتب الأدب

The Kharijites in the Book of Al-Kamil Fi Allugha Wa AL Adeb by Al-Mubarrad (285AH/898AD) comparative historical study

Assist. Prof. Dr. Saad Kadhem Abed
College of Education/ University of Al-Qadisiyah
alganabisaad@yahoo.com

Abstract

This study came to follow the news of the Kharijites in one of the most important sources of Arabic literature, which is the book al-Kamil fi al-Adab and language by Abu al-Abbas al-Mubarrad (d. 285 AH). The Kharijites sect in particular, as Al-Mubarrad singled out a large axis dedicated to the news of the Kharijites from the moment they appeared, highlighting their impact on the general conditions of the Arab Islamic state, their most important groups, and their leaders. Since Al-Mubarrad is considered one of the advanced writers, its historical material is considered to be of high value, and it has become a source for other historians who took many narrations from it. What distinguishes Al-Mubarrad from the comprehensive and objective Kharijites in the historical narratives, as it follows the news of this sect from the moment of its appearance, highlighting the historical premises of its emergence, and the role played by this sect in the general events of the Arab Islamic state. This study came to analyze and compare these narrations starting from the era of the Messenger who predicted the emergence of this sect, then the issue of arbitration and their rebellion against Imam Ali, and their wars with him, in addition to their political and intellectual impact during the era of the Umayyad state.

Key words: Kharijites, literature books

المقدمة:

جاءت هذه الدراسة لتتبع اخبار الخوارج في واحداً من اهم مصادر الادب العربي، وهو كتاب الكامل في الادب واللغة لابي العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)، فبالرغم من طبيعة الكتاب الادبية إلا أنه ضمن مادة تاريخية مهمة جداً عن الاحداث السياسية في الدولة العربية الاسلامية بصورة عامة، وعن فرقة الخوارج بصورة خاصة، أذ افرد المبرد محوراً كبيراً خصصه لأخبار الخوارج من لحظة ظهورهم مبرزاً اثرهم في الاحوال العامة للدولة العربية الاسلامية، وأهم فرقهم، وقادتهم. وبما ان المبرد يعد من الكتاب المتقدمين، فأن مادته التاريخية تعتبر ذات قيمة عليا، اصبحت مصدراً لباقي المؤرخين فأخذوا عنها الكثير من الروايات. ومما يميز مادة المبرد عن الخوارج الشمولية والموضوعية في ايراد الروايات التاريخية، إذ تتبع اخبار هذه الفرقة منذ لحظة ظهورها، مسلطاً الضوء على المنطلقات التاريخية لظهورها، والدور الذي لعبته هذه الفرقة في الاحداث العامة للدولة العربية الاسلامية. وقد جاءت هذه الدراسة لتحليل ومقارنة هذه الروايات بدءاً من عهد الرسول الذي تنبأ بظهور هذه الفرقة، ثم قضية التحكيم وخروجهم على الامام علي، وحروبهم معه، بالإضافة اثرهم السياسي والفكري في عهد الدولة الاموية.

نبوءة النبي عن ظهور الخوارج:

ذكر المبرد[١] رواية عن بداية ظهور الخوارج، وكيف ان الرسول قد ذكرهم في حديث له، قائلاً: "وحدثني إبراهيم بن محمد التميمي قاضي البصرة في إسناد ذكره، أن علياً رضي الله عنه وجه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذهبة من اليمن، فقسمها أرباعاً فأعطى ربعاً للأقرع بن حابس المجاشعي، وربعاً لزيد الخيل الطائي، وربعاً لعيينة بن حصن الفزاري، وربعاً لعلقمة بن علاقة الكلابي. فقام إليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين، ناتئ الجبهة، فقال: رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله، فغضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تورد خداه، ثم قال: أيأمنني الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنوني، فقام إليه عمر فقال: ألا أقتله يا رسول الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وتنظر في الرصاف فلا ترى شيئاً، وتتمارى في الفوق".

ورد هذا الحديث عند البخاري بصيغة مختصرة نصها:" حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال بعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة وقال أتألفهم فقال رجل ما عدلت فقال يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين"[٢].

كما ذكره ابن ابي حديد[٣] - الذي يسند بعض رواياته الى المبرد- بصيغة تكاد تكون مطابقة لما ذكره المبرد قائلاً:" وقال النبي صلى الله عليه وآله: يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئا، فينظر في الفوق، فلا يجد شيئا، سبق الفرث والدم، وهذا الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله ومن اخباره المفصلة بالغيوب".

وفي موضع آخر يذكر المبرد[٤] حديثاً للرسول يصفهم فيه، ونصه:" ويروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما وصفهم قال: "سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا تجاوز تراقيهم، علامتهم رجل مخدج اليد". وهذا الحديث ورد عند الكثير من المحدثين فقد ذكره احمد في مسنده قائلاً: " قال يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقهم قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق والتسبيت"[٥]. وذكره البخاري[٦] قائلاً:" يحدث عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق أو قال التسبيد". كما ذكره ابن ماجة[٧] بصيغة اخرى قائلاً: " قال رسول الله ﷺ يخرج قوم في آخر الزمان، أو في هذه الأمة، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، أو حلوقهم، سيماهم التحليق، إذا رأيتموهم، أو إذا لقيتموهم، فاقتلوهم ". كذلك ورد عند

ابي داوود[٨] بما نصه:" أن رسول الله ﷺ، نحوه، قال:سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم قال أبو داود: التسبيد استئصال الشعر". ويرد عند النسائي[٩] بصيغة اخرى نصها:" أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئا فقام رجل من ورائه فقال يا محمد ما عدلت في القمسة رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا وقال والله لا تجدون بعدي رجلا هو أعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من السلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة".

وبالرغم من ان هذا الحديث قد ورد عن معاصرين للمبرد، وفي كل مرة يرد بصيغة مختلفة، وسند مختلف، إلا أن كل ما ذكر يعطي مفهوماً واحداً عن نبوءة الرسول بخروج هذه الفرقة، واوصافها.

كما ورد هذا هذا الحديث عند محدثين متأخرين عن عصر المبرد، فقد ذكره الحاكم النيسابوري[١٠] قائلاً:" قال رسول الله صلى الله عليه وآله سيكون بعدي قوم من أمتي يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه سيماهم التحليق قال عبد الله بن الصامت فلقيت رافع بن عمرو أخا الحكم بن عمرو الغفاري فقلت له ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا فذكرت له الحديث فقال وما أعجبك من هذا وانا سمعته من رسول الله ﷺ". بالإضافة الى محدثين[١١] اخرين كثيرين.

افرد المبرد[١٢] عنواناً مستقلاً اسماه: (حديث المخدج)، اورد فيه ما نصه:" ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ذكر المخدج عند النبي عليه السلام، فقال أبو مريم: والله إن كان معنا لفي المسجد وكان فقيراً، وكان يحضر طعام علي إذا وضعه للمسلمين، ولقد كسوته برنساً لي، فلما خرج القوم إلى حروراء، قلت: والله لأنظرن إلى عسكرهم، فجعلت أتخللهم حتى صرت إلى ابن الكواء وشبث بن ربعي، ورسل علي تناشدهم، حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي، فضرب دابته بالسيف، فحمل الرجل سرجه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم انصرف القوم إلى الكوفة، فجعلت أنظر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد، فرأيت المخدج، كان مني قريباً، فقلت: أكنت مع القوم، فقال: أخذت سلاحي أريدهم، فإذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي، وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم النهر قال علي: اطلبوا المخدج. فطلبوه فلم يجدوه، حتى ساء ذلك علياً، وحتى قال رجل: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هو فيهم، فقال علي: والله ما كذبت ولا كذبت، فجاء رجل فقال: قد أصبناه يا أمير المؤمنين، فخر علي ساجداً، وكان إذا أتاه ما يسر به من الفتوح سجد وقال: لو أعلم شيئاً أفضل منه لفعلته، ثم قال: سيماه أن يده كالثدي، عليها شعرات كشارب السَنور، ايتوني بيده المخدجة، فأتوه بها، فنصبها".

وتعد هذه الرواية التي اوردها المبرد، اهم ما وصل الينا عن هذه القضية، فلم ترد بصيغتها تلك عند أي من المؤرخين، كما ان أحداً لم يسبقه الى هذه الرواية سوى ابن ابي شيبة[١٣] الكوفي الذي ذكرها بصيغة مختلفة ومطولة، منها ما نصه:" أن عليا سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شاطئ النهروان أرسل إليهم يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم كلهم، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم: ما نجده حيا، وقال: بعضهم: ما هو فيهم، ثم إنه جاءه رجل فبشره فقال: يا أمير المؤمنين، قد والله وجدناه تحت قتيلين في ساقيه، فقال: اقطعوا يده المخدجة وأتوني بها، فلما أتى بها أخذها بيده ثم رفعها ثم قال: والله ما كذبت ولا كذبت".

وقد اخذ الطبري[١٤] هذه الرواية كما هي من ابن ابي شيبة بسند اطول قائلاً:" حدثني عمارة الأسدي قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا نعيم قال حدثني أبو مريم".

كما وردت هذه الرواية عند الخطيب البغدادي[١٥] بشكل مقتضب، ونصها: " لما أصيب أهل النهروان خرج علي وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه يعني -المخدج- فالتمسوه فجاؤوا، فقالوا: لم

نجده، فعرف ذلك في وجهه، فقال: ويلكم ضعوا عليهم القصب - أي علموا كل رجل منهم بالقصب- فجاؤوا به فلما رآه خر ساجدا".

كما وردت ايضاً عند ابن شهرآشوب[١٦] ولكن بصيغة مختلفة اضفى عليها نوعاً من الاعجاز الذي يحاول بعض المؤرخين ربطه بسيرة اهل البيت، قائلاً:" عن أبو نعيم الأصفهاني عن الثوري: أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر أن يفتش عن المخدج بين القتلى فلم يجدوه، فقال رجل والله ما هو فيهم، فقال عليه السلام: والله ما كذبت ولا كذبت يا عجلان آتني ببغلة رسول الله (ص) فأتاه بالبغلة فركبها وجال في القتلى ثم قال اطلبوه هاهنا قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطين. وفي رواية أبي نعيم عن سفيان: فقيل قد أصبناه، فسجد لله تعالى عليه السلام".

اما ابن الاثير[١٧] فقد افرد لهذه الحادثة عنواناً مستقلاً اسماه: مقتل ذي الثدية، ذكر فيه ما نصه:" إنه جاءه رجل فبشره فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجدوه في حفرة علي شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولي ثم تترك فنعود إلى منكبيه، فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله علي لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه".

اما ابن ابي حديد فقد ذكر هذه الرواية بصيغة مختلفة، نصها: " عن مسروق، قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدى ومن أحبهم إلى فهل عندك علم من المخدج، فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا [١٨] ولأسفله النهروان، بين لخاقيق وطرفاء[١٩]، قالت: أبغني على ذلك بينة، فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله (ص) فيهم، فقالت: نعم سمعته، يقول: إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة قضية التحكيم"[٢٠].

كما وردت هذه الرواية عند من المؤرخين المتأخرين[٢١]، اعتمدوا في روايتها على من سبقهم من المؤرخين، الا ان البعض منهم ذكرها بشكل مفصل والبعض الآخر حاول تشذيبها واختصارها.

قضية التحكيم وظهور الخوارج

بدأ المبرد حديثه عن الخوارج بقوله (اول من حكم من الخوارج)، فذكر ما نصه: " ويقال فيما يروى من الأخبار إن أول من حكم عروة بن أدية - وأدية جدة له في الجاهلية- وهو عروة بن حدير، أحد بني ربيعة بن حنظلة. وقال قوم: بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. ولم يخلفوا في إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي، وأنه امتنع عليهم، وأومأ إلى غيره، فلم يقتنعوا إلا به، فكان إمام القوم، وكان يوصف بالرأي"[٢٢].

ثم يذكر ما نصه:" فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية. وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنية يا أشعث، وما هذا التحكيم، أشرط أوثق من شرط الله عز وجل، ثم شهر عليه السيف، والأشعث مول، فضرب به عجز البغلة، فشبت البغلة فنفرت اليمانية - وكان جل أصحاب علي صلوات الله عليه - فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد، وشبث بن ربعي الرياحي إلى الأشعث، فسألوه الصفح، ففعل"[٢٣].

وهذه الرواية لم ترد بهذه الصيغة الا عند المبرد، ولم يسبقه اليها سوى البلاذري إذ ذكرها في انسابه ولكن بشكل اوسع إذ اضاف اليها ما نصه: " وكان سيف عروة أول سيف شهر في التحكيم، وقيل لعلي: إن الأشتر لم يرض بالصحيفة، ولم ير إلا قتال القوم، فقال: ولا أنا والله رضيت ولكن لا يصلح الرجوع بعد الكتاب"[٢٤]. وقد ذكر الشهرستاني[٢٥] هذه الرواية في مللـه، بشكل يكاد يكان مطابق لما ذكره المبرد، ولم ترد بصيغتها هذه عند أي مؤرخ آخر.

ثم يسوق المبرد[٢٦] رواية طويلة عن حديث علي مع الخوارج في أول خروجهم عليه، ونصها:" ويروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي، وقد كان وجَهَهُ إليهم، وزياد

بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعة: بأي القوم رأيتهم أشد إطاقة، فقال: بزيد بن قيس الأرحبي، فركب علي إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم، حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس، فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس، ثم قال: هذا مقام من فَلَج - انتصر - فيه فَلَج يوم القيامة، أنشدكم الله، أعلمتم أحداً منكم كان أكره للحكومة مني، قالوا: اللهم لا، قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني، حتى قبلتها، قالوا: اللهم نعم. قال: فعلام خالفتموني ونابذتموني؟ قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً، فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نعد لك. فقال علي: إني أستغفر من كل ذنب، فرجعوا معه، وهم ستة آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وقالوا: إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع، ويجبى المال، فينهض إلى الشام، فأتى الأشعث بن قيس علياً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً، فخطب علي الناس فقال: من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالاً فهو أضل".

لم ترد هذه الرواية عند المؤرخين السابقين والمعاصرين للمبرد، سوى ما ذكره البلاذري وهو جزء من هذه الرواية الطويلة، ونصه: " ولما دخلوا للكوفة جعل الناس يقولون: تاب أمير المؤمنين وزعم أن الحكومة كفر وضلال، وإنما ننتظر أن يسمن الكراع ثم نشخص إلى الشام، فبلغ ذلك عليا فقال: كذب من قال: إني رجعت عن القضية وقلت: إن لحكومة ضلال، وكانت الحرورية قد سكنت فعادت بعد إلى التحكيم"[٢٧].

اخذ عدد من المؤرخين المتأخرين هذه الرواية عن المبرد، فقد ذكرها المفيد[٢٨] قائلاً:" من كلامه عليه السلام للخوارج حين رجع إلى الكوفة، وهو بظاهرها قبل دخوله إياها، بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم هذا مقام من فلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف فيه أو غل فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، نشدتكم بالله أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، امضوا على حقكم وصدقكم، إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهنا ومكيدة، فرددتم على رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب، اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء، فقال له بعض الخوارج، فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء، فقال عليه السلام: إنا لم نحكم الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق، وإنما يتكلم به الرجال، قالوا له: فخبرنا عن الأجل، لم جعلته فيما بينك وبينهم، قال: ليتعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة، ادخلوا مصركم رحمكم الله ودخلوا من عند آخرهم".

كما وردت هذه الرواية بشكل مختلف عن الاصل الذي ذكره المبرد، فقد اضاف عليها بعض المؤرخين حتى بدت مختلفة في معناها، فقد ذكرها البيهقي[٢٩] قائلاً: " كان علي رضي الله عنه حين صفنا نادى في الناس لا يرمين رجل بسهم ولا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولا تبدأوا القوم بالقتال وكلموهم بألطف الكلام وأظنه قال فان هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة فلم نزل وقوفا حتى تعالى النهار حتى نادى القوم بأجمعهم يا ثارات عثمان رضي الله عنه فنادى علي رضي الله عنه محمد ابن الحنفية وهو امامنا ومعه اللواء فقال يا بن الحنفية ما يقولون فأقبل علينا محمد بن الحنفية فقال يا أمير المؤمنين يا ثارات عثمان فرفع علي رضي الله عنه يديه فقال اللهم كب اليوم قتلة عثمان لوجوههم". كذلك وردت هذه الرواية بهذه الصيغة عند الذهبي[٣٠] بشكل مطابق لما اورده البيهقي، أما ابن ابي حديد[٣١] فقد اسندها للمبرد.

ثم يسترسل المبرد في الحديث عن التطورات التي رافقت حديث الامام مع الخوارج قائلاً:" فخرجت الخوارج من المسجد، فحكمت، فقيل لعلي: إنهم خارجون عليك، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون، فوجه إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود، وأيدياً كثفنات الإبل، وعليهم قمص مرحضة، وهم مشمرون، فقالوا: ما جاء بك يا أبا

العباس، فقال: جئتكم من عند صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار، قالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله، فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا، فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته، فقالوا: اللهم نعم، فقال: فأنشدكم الله فهل علمتم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم، ولكن علياً محا نفسه من إمارة المسلمين، قال ابن عباس: ليس ذلك بمزيلها عنه، وقد محا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه من النبوة، وقد أخذ علي على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاوية يدعي مثل دعوى علي، قال فأيهما رأيتموه أولى فولهوه، قالوا: صدقت، قال ابن عباس، ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما، قال: فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف، فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء، وقال: متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعي الرياحي، فلم يزالوا على ذلك يومين، حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي، قال: ومضى القوم إلى النهروان، وكانوا أرادوا المضي إلى المدائن".

لم ترد هذه الرواية بصيغتها تلك سوى عند المبرد، ويبدو انها كانت مصدراً لكل الروايات التي ساقها المؤرخون عن هذه الحادثة فيما بعد، فقد ذكرها الدينوري[٣٢] والطبري[٣٣] بشكل يكاد يكون مطابقاً لما اورده المبرد، وبالتالي فأن رواية المبرد تبدو اكثر تفصيلاً من روايات المؤرخين الآخرين، لذلك اصبحت اساساً لبعض رواياتهم.

ومن القضايا التي ركز المبرد[٣٤] على التفصيل فيها، هي المناظرات التي تمت بين الامام علي وعبد الله بن عباس من جهة وبين الخوارج من جهة اخرى. فيذكر في مناظرة ابن عباس لهم ما نصه:" وذكر أهل العلم من غير وجه أن علياً رضي الله تعالى عنه لما وجه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه، ليناظرهم، قال لهم: ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين، قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له. فقال ابن عباس: ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه أن يقر على نفسه بالكفر، قالوا: إنه قد حكم، قال: إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد، فقال عز وجل: ((يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ))[٣٥]، فكيف في إمامه قد أشكلت على المسلمين، فقالوا: إنه قد حكم عليه فلم يرض، فقال: إن الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم: {هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}، وقال عز وجل: ((وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً))[٣٦]".

ويبدو ان هذه المناظرة كانت اسبق من مناظرة الامام علي لهم، إذ ذكر المبرد[٣٧] عن مناظرة الامام لهم ما نصه:" وكان سبب تسميتهم الحرورية أن علياً رضوان الله عليه، لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم: إن هذه مكيدة ووهن، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني، ثم سألوني التحكيم، أفعلمتم أنه كان منكم أحد أكره لذلك مني، قالوا: الله نعم قال: فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء، وانتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم من ذلك الوقت ابن الكواء، وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن حباب، فإما ذبحوه بكسكر في الفرقة الثالثة - فقالوا: حكمت في دين الله برأينا، ونحن مقرون بأنا قد كفرنا، ونحن تائبون، فاقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك إلى الشأم، فقال: أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأته، فقال تبارك وتعالى: ((فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا))[٣٨]. وفي صيد أصيب في الحرم، كأرنب تساوي ربع درهم، فقال عز وجل: ((يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ))، فقالوا: إن عمراً لما أبى عليك أن تقول في كتابك: هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة، وكتبت علي بن أبي طالب. فقال لهم رضي الله عنه: لي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة، حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو

فقال: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك، ولكني أقدمك لفضلك، ثم قال: اكتب: محمد بن عبد الله، فقال لي: يا علي امحُ رسول الله، فقلت: يا رسول الله، لا تسخو نفسي بمحو اسمك من النبوة، فقال عليه السلام: فقفني عليه فمحاه بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: اكتب محمد بن عبد الله، ثم تبسم إلي فقال: يا علي، أما إنك ستسام مثلها فتعطي. فرجع معه منهم ألفان من حروراء، وقد كانوا تجمعوا بها، فقال لهم علي صلوات الله عليه: ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية، لاجتماعكم بحروراء[٣٩]".

حربهم مع الامام علي في النهروان

اورد المبرد رواية مهمة عن معركة النهروان التي دارت بين الامام علي من جهة وبين الخوارج من جهة اخرى، قائلاً: "وكان مقدار من أصاب علي صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثماني مائة، في أصح الأقاويل، وكان عددهم ستة آلاف، وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب، فخرج منهم رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه: ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتلة وشرك في دمه، ثم حمل منهم رجل على صف علي، وقد قال علي: لا تبدأوهم بقتال، فقتل من أصحاب علي ثلاثة.... فخرج إليه علي صلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السيف، قال: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري أإلى الجنة أم إلى النار، فقال: رجل من سعد: إما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شك، فانخزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري، وكان رحمه الله على ميمنة علي، وجعل الناس يتسللون، وقد قال علي وقيل له: إنهم يريدون الجسر. فقال: لن يبلغوا النطفة، وجعل الناس يقولون له في ذلك، حتى كادوا يشكون، ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كذبت ولا كذبت، ثم خرج إليهم في أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منكم عشرة، فقتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية"[٤٠].

لم ترد أي رواية تاريخية مطابقة لما ذكره المبرد عن هذه الحادثة، خاصة فيما يتعلق بعدد القتلى في المعركة، في أي من مصادر التاريخ سوى ما ذكره احد المتأخرين قائلاً:" فقتل منهم علي بالنهروان ألفين وثماني مئة في أصح الأقاويل"[٤١]. ويبدو انه نقل هذه الرواية عن المبرد ووصفها بـ(اصح الاقاويل).

ثم يكمل المبرد حديثه عن هذه الحادثة قائلاً:" وقيل أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر، ثم من بني صريم، يقال له الحجاج بن عبد الله، ويعرف بالبرك، وهو الذي ضرب معاوية على أليته، فإنه لما سمع بذكر الحكمين قال: أيحكم في دين الله، فسمعه سامع فقال: طعن والله فأنفذ، وأول من حكم بين الصفين رجل من بني يشكر بن بكر بن وائل، فإنه كان في أصحاب علي، فحمل على رجل منهم فقتله غيلة، ثم مرق بين الصفين فحكم، وحمل على أصحاب معاوية، فكثروه، فرجع إلى ناحية عل صلوات الله عليه، فحمل على رجل منهم، فخرج إليه رجل من همدان فقتله"[٤٢]. ولم ترد هذه الرواية بصورتها هذه سوى عند ابن ابي حديد الذي ذكرها باسنادها الى المبرد[٤٣].

ثم يذكر ايضا ما نصه: "وجاء في الحديث، أن عليا رضي الله عنه تلي بحضرته: ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً))[٤٤]، فقال علي: أهل حروراء منهم"[٤٥]. وهذه الرواية ايضاً لم ترد عند أي مؤرخ آخر غير المبرد، ثم نقلها عنه الطبري[٤٦]، وابن ابي حديد[٤٧].

مقتل الامام علي

ولعل ابرز ما يميز مادة المبرد عن الخوراج، ايراده لبعض الروايات التي ضمنها نبوءات عن قتل الامام علي، فقد اورد رواية مهمة عن نهاية الامام علي ونصها: " ويروى من حديث محمد بن كعب القرظي قال: قال عمار بن ياسر، خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلاً، فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه ننظر إلى قوم يعتملون، فنعسنا فنمنا،

فسفت علينا الريح التراب، فما نبهنا إلا كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لعلي: يا أبا تراب - لما عليه من التراب - أتعلم من أشقى الناس، فقال: خبرني يا رسول الله، فقال: أشقى الناس اثنان: أحمر ثمود الذي عقر الناقة، وأشقاها الذي يخضب هذه - ووضع يده على لحيته- من هذا، ووضع يده على قرنه"[٤٨]، وقد اخذ الطبري[٤٩] هذه الرواية كما هي من المبرد، ولم ترد عند مؤرخ آخر غيره.

وفي موضع آخر يذكر ما نصه: " وروي عن علي صلوات الله عليه أنه خرج في غداة يوقظ الناس للصلاة في المسجد، فمر بجماعة تتحدث، فسل وسلموا عليه، فقال وقبض على لحيته: ظننت أن فيكم أشقاها، الذي يخضب هذه من هذه. وأومأ بيده إلى هامته ولحيته"[٥٠].

ثم يذكر المبرد[٥١] رواية ثالثة لم ترد عند غيره من المؤرخين، نصها: " ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال: تلقاني علي صلوات الله عليه في الغلس، فقال لي: من أنت، قلت: عياض بن خليفة الخزاعي، فقال: ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه".

ويذكر ايضاً ما نصه: "ويروى أن علياً كان يتمثل إذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة، وإنما سمي بذلك لأنه ضرب على كشحه:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فينتفي من ذلك، حتى أكثر عليه، فقال له المرادي: إن قضي شيء كان. فقيل لعلي: كأنك قد عرفت وعرفت ما يريد بك، أفلا تقتله، فقال: كيف أقتل قاتلي"[٥٢]. وردت هذه الرواية بشكل مختصر عند عدد من المؤرخين منهم معاصرين للمبرد وآخرين متأخرين[٥٣].

وهي نفس الرواية التي ذكرها اليعقوبي[٥٤] ونصها: " قدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة ٤٠هـ، فلما بلغ عليا قدومه قال: وقد وافى، أما إنه ما بقي علي غيره، هذا أوانه".

ثم يورد المبرد قصة مقتل الامام في رواية طويلة قائلاً: " ثم نرجع إلى ذكر الخوارج، قال أبو العباس: فلما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان، وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج، ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب، وقوم ممن استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري، فتجمعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيئ، فوجه إليهم علي رجلاً، وهم بالنخيلة، فدعاهم ورفق بهم، فأبوا، فعاودهم فأبوا، فقتلوا جميعاً، فخرجت طائفة منهم نحو مكة، ووجه معاوية من يقيم للناس حجهم، فناوشه هؤلاء الخوارج، فبلغ ذلك معاوية ووجه معاوية بسر بن أرطأة، أحد بني عامر بن لؤي، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلي بالناس رجل من بني شيبة، لئلا يفوت الناس الحج، فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها، فقالوا: إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقه، وقال رجل من أشجع: والله ما عمرو دونهما، وإنه لأصل هذا الفساد، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل علياً، فقالوا: وكيف لك به، قال: أغتاله. فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي - وهو البرك: وأنا أقتل معاوية، وقال زادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم: وأنا أقتل عمراً. فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة، فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فخرج كل واحد منهم إلى ناحية".

وهذا الشطر من الرواية لم يرد بها التفصيل عند أي من المؤرخين، وبالتالي فأن مادة المبرد هذه تعد افضل ما وصل الينا عن حادثة مقتل الامام علي. فعلى الرغم من تواتر الروايات حول هذه الحادثة الا إنها تختلف عما اورده المبرد. فقد ذكر الطبري[٥٦] هذه الحادثة بقوله: "ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم إخواننا فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب وكان من أهل مصر وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها". ويبدو ان باقي المؤرخين قد اخذ هذه الرواية عن الطبري، لأنها تكاد تكون مطابقة تماماً لروايته.

ثم يورد المبرد[٥٧] رواية نصها: " وقد ذكروا أن القاصد إلى معاوية يزيد بن ملجم، والقاصد إلى عمرو آخر من بني ملجم، وأن أباهم نهاهم، فلما عصوه قال: استعدوا للموت، وأن أمهم حضتهم على ذلك، والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة".

ان المتمعن في هذه الرواية يجد بأن المبرد قد اتبع منهجاً قائم على ترجيح الروايات، فبالرغم من طبيعة كتابه الادبية الا انه يجد نفسه ملزماً باختيار الرواية الصحيحة مادام قد اورد نصوصاً تاريخية.

تفرد المبرد بذكر هذه الرواية، فلم ترد عند غيره من المؤرخين اطلاقاً، بالإضافة الى ذلك فأن يزيد بن ملجم لم يرد ذكره في هذه الحادثة او غيرها، عدا ما ذكره ابن حجر[٥٨] عنه قائلاً:" يزيد بن ملجم المرادي أخو عبد الرحمن له إدراك قال بن يونس شهد فتح مصر".

ويسترسل المبرد في ايراد باقي القصة بقوله: " فأتى ابن ملجم الكوفة، فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب، وكانت ترى رأي الخوارج - والأحاديث تختلف وإنما يؤثر صحيحها - ويروى في بعض الحديث أنها قالت: لا أقتنع منك إلا بصداق أسميه لك، وهو ثلاثة آلاف درهم، وعبد وأمة، وأن تقتل علياً، فقال لها: لك ما سألت، وكيف لي به، قالت تروم ذلك غيلة، فإن سلمت أرحت الناس من شر، وأقمت مع أهلك، وإن أصبت خرجت إلى الجنة ونعيم لا يزول، فأنعم لها"[٥٩].

ويبدو بأن هذه الرواية مصدرها المبرد، فلم ترد سوى عند المؤرخين المتأخرين عنه، فقد ذكرها بعض المؤرخين[٦٠] بشكل يكاد يكون مطابقا لما اورده المبرد.

الخوارج في العهد الاموي

بدأ المبرد[٦١] حديثه عن الخوارج في العهد الاموي بذكر اخبارهم مع معاوية، فساق رواية مهمة ، ونصها: " وخرجت الخوارج، واتصل خروجها، وإنما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف، واتصلت به حكم من كلام وأشعار، فأول من خرج بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام حوثرة الأسدي، فإنه كان متنحياً بالبندنيجين[٦٢]، فكتب إلى حابس الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرجعا إلى موضع أصحاب النخيلة، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة. ثم خرج الحسن يريد المدينة، فوجه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم، فقال الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، ولا أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم".

لم ترد هذه الرواية سوى عند ابن عبد ربة الاندلسي[٦٣]، اما ابن ابي الحديد[٦٤]، فأنه يذكر هذه الرواية ايضاً، الا ان يضيف عليها وصية الحسن بعدم محاربة الخوارج قائلاً: " لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، مثل من طلب الباطل فأدركه، وهو الحق الذي لا يعدل عنه، وبه يقول أصحابنا، فإن الخوارج عندهم أعذر من معاوية، وأقل ضلالا، ومعاوية أولى بأن يحارب منهم".

ويستطرد المبرد[٦٥] قائلاً: " فلما رجع الجواب إليه وجه اليهم جيشاً أكثرهم من أهل الكوفة، ثم قال لأبيه أبي حوثرة: قم فاكفني أمر أبنك فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأبى فأداره، فصمم، فقال له: يا بني أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه، فقال: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى ابني، فرجع إلى معاوية فأخبره الخبر، فقال: يا أبا حوثرة، عتا هذا جداً، فلما نظر حوثرة إلى أهل الكوفة قال: يا أعداء الله، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه، واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه، فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز، فقال: يا أبت، لك في غيري مندوحة، ولي في غيرك عنك مذهب، ثم حمل على القوم.... فحمل عليه رجل من طيئ فقتله، فرأى أثر السجود قد لوح جبهته، فندم على قتله، ثم انهزم القوم جميعاً". وهذا الشطر من الرواية نقله ابن ابي الحديد[٦٦] كما هو من المبرد.

ويذكر المبرد رواية مهمة اخرى عن الاساليب التي اتبعها الامويين مع الخوارج قائلاً: " وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج، يحبسهم تارة ويقتلهم تارة، وأكثر ذلك يقتلهم، ولا يتغافل عن أحد منهم، وسبب

ذلك أنه أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده، فخرجوا عليه. فأما زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر، ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة"[٦٧].

ويذكر المبرد رواية اخرى عن محاولة زياد استمالة الخوارج واغرائهم بالمال قائلاً: " وبلغ زياداً عن رجل يكنى أبا الخير، من أهل البأس والنجدة، أنه يرى رأي الخوارج، فدعاه فولاه جندي سابور وما يليا، ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة، فلم يزل والياً حتى أنكر منه زياد شيئاً فتنمر لزياد فحبسه، فلم يخرج من حبسه حتى مات"[٦٨].

ان المتمن في روايات المبرد عن الخوارج يصل الى حقيقة مفادها إنه انما يسوق هذه الروايات ليبن بلاغة رجال هذه الفرقة وتمكنهم من لغتهم وقدرتهم على الاقناع، كذلك دفاعهم المستميت عن مذهبهم. ففي رواية مهمة ساقها عن لقاء عبد الملك بن مروان برجل من الخوارج، ذكر ما نصه: " وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتي برجل منهم فبحثه فرأى منه ما شاء فهماً ثم بحثه، فرأى ما شاء إرباً ودهياً، فرغب فيه، فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مستبصراً محققاً، فزاده في الإستدعاء فقال له: لتغنك الأولى عن الثانية، وقد قلت فسمعت، فاسمع أقل، قال له: قل. فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته: لقد كان يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وأنا أولى بالجهاد منهم. ثم رجعت إلى ما ثبت الله علي من الحجة وقرر في قلبي من الحق. فقلت له: لله الآخرة والدنيا، وقد سلطنا الله في الدنيا، ومكن لنا فيها، وأراك لست تجيب بالقبول، والله لأقتلنك إن لم تطع، فأنا في ذلك إذ دخل علي بابني مروان، كان مروان أخا يزيد لأمه، أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبياً عزيز النفس، فدخل به في هذا الوقت على عبد الملك باكياً لضرب المؤدب إياه، فشق ذلك على عبد الملك، فأقبل الخارجي، فقال له: دعه يبكي، فإنه أرحب لشدقه، وأصح لدماغه، وأذهب لصوته، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة الله، فاستدعى عبرتها، فأعجب ذلك من قوله عبد الملك، فقال متعجباً: ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء، فأمر عبد الملك بحبسه، وصفح عن قتله، وقال بعد يعتذر إليه: لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك، ثم قال عبد الملك: من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوي من بعدي، وكان عبد الملك من الرأي والعلم بموضع"[٦٩].

لم ترد هذه الرواية في أي مصدر من مصادر التاريخ، فقد انفرد المبرد بذكرها، ثم اخذها ابن ابي حديد[٧٠] كما هي بإسنادها للمبرد، إلا ان المدقق في رواية ابن ابي الحديد يجد انه قد غير بعض مفرداتها، ويبدو انه اراد من ذلك تبسيطها لتكون مستساغة اكثر.

ثم يستطرد المبرد بحديثه عن اثر الخوارج في التاريخ الاموي، وكيف ان الدولة الاموية قد بذلت جهداً استثنائياً في ملاحقة هذه الفرقة ومحاصرة انتشارها العسكري والفكري، فيخصص المبرد مادة طويلة للحديث عن حروبهم مع الخوارج، خاصة مع الازارقة، بقيادة نافع بن الازرق الذي افرد له مادة تاريخية طويلة، فيذكر ما نصه: " ويروى أن أبا الجلد اليشكري قال لنافع يوماً: يا نافع، إن لجهنم سبعة أبواب، وإن أشدها حراً للباب الذي أعد للخوارج، فإن قدرت ألا تكون منهم فافعل، فأجمع القوم على الخروج، فمضى بهم نافع إلى الأهواز في سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يهيجون أحداً، ويناظرهم الناس، وكان سبب خروجهم إلى الأهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد، وكان في السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج، وضعف أمر ابن زياد، فكلم فيهم فأطلقهم، فأفسدوا البيعة عليه، وفشوا في الناس، يدعون إلى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه، حتى اضطرب على عبيد الله أمره، فتحول عن دار الإمارة إلى الأزد، ونشأت الحرب بسببه بين الأزد وربيعة وبين بني تميم، فاعتزلهم الخوارج إلا نفراً منهم من بني تميم، معهم عبس بن طلق الصريمي أخو كَهمس فإنهم أعانوا قومهم، فكان عبس الطعان في سعد، والرباب في القلب بحذاء الأزد، وكان حارثة بن بدر اليربوعي في حنظلة بحذاء

بكر بن وائل....فلما قتل مسعود بن عمرو المغني، وتكاف الناس، أقام نافع بن الأزرق بموضعه بالأهواز، ولم يعد إلى البصرة، وطردوا عمال السلطان عنها، وجبوا الفيء"[٧١].

لم اجد هذه الرواية في أي من مصادر التاريخ الاسلامي، فقد انفرد المبرد بذكرها، اما قول اليشكري لنافع بن الازرق(ان لجهنم سبعة ابواب)، فهو حديث للرسول اختلف في مضمونه المحدثون، فقد ذكره احمد بن حنبل[٧٢] قائلاً:" حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عثمان بن عمر أنا مالك بن مغول عن جنيد عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل سيفه على أمتي أو قال أمة محمد". كما ذكره الترمذي[٧٣] قائلاً:" ثنا عبد بن حميد ، أخبرنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن جنيد عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : (لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمتي ، أو قال على أمة محمد)، هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول".

ثم يذكر المبرد[٧٤] رواية اخرى عن دور نافع بن الازرق ودعوته لعبد الله بن الزبير للدخول في امره قائلاً: " وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره: أما بعد، فإني أحذرك من الله..... وقد حضرت عثمان يوم قتل، فلعمري لئن قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين - وإنهم لمهتدون - لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده، ولقد علمت أن أباك وطلحة وعثمان، فكيف ولاية قاتل متعمد ومقبول في دين واحد، ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات، وأقام الحدود، وأجرى الأحكام مجاريها، وأعطى الأمور حقائقها، فيما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة، ثم خلعاه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس: إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً؛ أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعمتم، وفي الحكم جائراً، لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف، ولقد كنت له عدواً، ولسيرته عاتباً، فكيف توليته بعد موته، فاتق الله".

تعد هذه الرواية من اهم الروايات التاريخية التي سلطت الضور على علاقة نافع بن الازرق بعبد الله بن الزبير، ودعوته الى الانضمام الى الخوارج. وهذه الرواية لم ترد في أي مصدر آخر من مصادر التاريخ الاسلامي على اهميتها في فهم التطورات السياسية خلال هذه الفترة.

ويورد المبرد[٧٥] رواية اخرى عن الخلاف الذي دب بين نافع بن الازرق و نجدة بن عامر، والرسائل التي دارت بينهما، اما عن اسباب الخلاف فيذكر ما نصه: " ولم يزالوا على رأي واحد، يتولون أهل النهر ومرداساً ومن خرج معه، حتى جاء مولى لبني هاشم إلى نافع، فقال له: إن أطفال المشركين في النار، وإن من خالفنا مشرك، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال، قال له نافع: كفرت وأحللت بنفسك، قال له: إن لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلني، ((وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً))[٧٦]، فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم، فشهد نافع أنهم جميعاً في النار، ورأى قتلهم، وقال: الدار دار كفر إلا من اظهر ايمانه، ولا يحل أكل ذبائحهم، تناكحهم، ولا توارثهم، ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه، وهم ككفار العرب، لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، والقعد[٧٧] .... فنفر جماعة من الخوارج عنه، منهم نجدة بن عامر".

هذه الرواية التي اراد المبرد ان يبين من خلالها طبيعة الخلاف الفكري الذي بدأ يدب في صفوف الخوارج، لم ترد عند أي من المؤرخين سوى عند السمعاني[٧٨] في انسابه عندما ترجم لفرقة الخوارج الصفري قائلاً:" أما الصفرية: فهم طائفة من الخوارج، وهم أصحاب زياد بن الأصفر، ويقال لهم الزيادية أيضا، وقولهم كقول الأزارقة في تكفير القعدة عنهم من موافقيهم، وفي إسقاط الرجم وسائر بدعها، على ما ذكرنا في الأزارقة وإنما خالفوهم في عذاب الأطفال، فإن الأزارقة قالت بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم، وقالت الصفرية : إن ذلك غير جائز، فأكفر كل واحد من الفريقين الآخر في هذا الخلاف".

ثم يذكر رواية مهمة عن خطابه لاهل البصرة قائلاً: " وكتب نافع إلى من بالبصرة من المحكمة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أما بعد: فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة، والدين واحد، ففيم المقام بين أظهر الكفار، ترون الظلم ليلاً ونهاراً، وقد ندبكم الله إلى ..... والسلام على من اتبع الهدى"[٧٩].

ان المتتبع لمنهج المبرد في تقصي الروايات التاريخية عن الخوارج، يجد ان اغلب رواياته نادرة، فأغلب هذه الروايات لم ترد في أي مصدر من مصادر المؤرخين السابقين لعصره. هذه من جهة ومن جهة اخرى فان بعض رواياته المهمة غير موجودة في مصادر المؤرخين الذين جاؤوا بعده، فهذه الرواية مثلاً لم ترد سوى عند ابن ابي حديد الذي اسندها للمبرد لابن ابي حديد[٨٠] .

ثم يسوق المبرد[٨١] رواية مهمة اخرى عن موقف الخوارج من نافع الازرق واختلافهم في رأيه قائلاً: " فورد كتابه عليهم، وفي القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي[٨٢] وعبد الله بن إباض المري، من بني مرة بن عبيد، فأقبل أبو بيهس على ابن إباض فقال: إن نافعاً غلا فكفر، وإنك قصرت فكفرت، تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك، وإنما هم كفار النعم، لتمسكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرسول، وتزعم أن مناكحهم ومواريثهم والإقامة فيهم حل طلق، وأنا أقول: إن أعداءنا كأعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحل لنا الإقامة فيهم، كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة، وأحكام المشركين تجري فيهم، وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الإسلام، وأن حكمهم عند الله حكم المشركين، فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل: قول نافع في البراءة والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال، وقول أبي بيهس الذي ذكرناه، وقول عبد الله بن إباض[٨٣]، وهو أقرب الأقاويل إلى السنة من أقاويل الضلال، والصفرية[٨٤] والنجدية[٨٥] في ذلك الوقت يقولون بقول ابن إباض، وقد قال ابن إباض ما ذكرنا من مقالته، وأنا أقول: إن عدونا كعدو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكني أحرم مناكحتهم ومواريثهم، لأن معهم التوحيد والإقرار معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول عليه السلام، فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم، وأراهم كفاراً للنعم، وقالت الصفرية ألين من هذا القول في أمر القعد، حتى صار عامتهم قعداً واختلفوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سموا صفرية، لأنهم أصحاب ابن صفار، وقال قوم: إنما سموا بصفرة علتهم".

تعد هذه الرواية من بين اهم الروايات التي اوردها المبرد، إذ بين من خلالها الصراع الفكري، كما انه تفرد بذكرها فلم ترد عند احد غيره من المؤرخين بصورتها هذه.

وختم المبرد[٨٦] حديثه عن نافع بذكر حديث مقتله قائلاً: " وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التي ذكرنا، وأقام نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال، فإذا أجيب إلى المقالة جبا الخراج، وفشا عماله في السواد، فارتاع لذلك أهل البصرة، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس، فشكوا ذلك إليه، وقالوا: ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان، وسيرتهم ما ترى، فقال الأحنف: إن فعلهم في مصركم - إن ظفروا به - كفعلهم في سوادكم، فجدوا في جهاد عدوكم، فاجتمع إليه عشرة آلاف، فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وهو ببة[١] - فسأله أن يؤمر عليهم، فاختار لهم ابن عبيس بن كريز، وكان ديناً شجاعاً، فأمره عليهم وشيعه، فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال: إني ما خرجت لامتيار، ذهب ولا فضة وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع. فرجع نفر يسير، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى تكسرت الرماح، وعقرت الخيل، وكثرت الجراح، والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق، وكان ابن عبيس قد تقدم إلى أصحابه فقال: إن أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الأجذم الغداني، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية، وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن الماحوز السليطي، فكان الرئيسان من بني يربوع: رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وادعى قتل نافع سلامة الباهلي".

ذكر عدد من المؤرخين قصة مقتل نافع بن الازرق، الا ان رواياتهم لم تكن مطابقة لما ذكره المبرد. فقد ذكرها الدينوري[٨٧] بشكل مختصر لا يرقى الى ما جاء به المبرد.

ضمن المبرد كتابه مادة مهمة عن الازارقة وحربهم مع ولاة البصرة، إذ ذكر ما نصه: " فكتب اهل البصرة الى ابن الزبير،...يسألونه أن يولي والياً، فكتب إلى أنس بن مالك أن يصلي بالناس، فصلى بهم أربعين يوماً، وكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة، فلقيه الكتاب وهو يريد الحج، وهو

في بعض الطريق، فرجع فأقام بالبصرة، وولى أخاه عثمان محاربة الأزارقة، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً، ولقيه حارقة فيمن كان معه، وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز، فلما عبروا إليهم دجيلاً نهض إليهم الخوارج، وذلك قبيل الظهر، فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر: أما الخوارج إلا ما أرى، فقال له حارثة: حسبك بهؤلاء، فقال: لا جرم، والله لا أتغدى حتى أناجزهم، فقال له حارثة: إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف، فأبق على نفسك وجندك، فقال: أبيتم يا أهل العراق إلا جبنا، وأنت يا حارثة، ما علمك بالحرب، أنت والله بغير هذا أعلم، يعرض له بالشراب. فغضب حارثة، فاعتزل، وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس، فأجلت الحرب عنه قتيلاً، وانهزم الناس، وأخذ حارثة الراية، وصاح بالناس: أنا حراثة بن بدر، فثاب إليه قومه، فعبر بهم دجيلاً، وبلغ فل عثمان البصرة، وخاف الناس الخوارج خوفاً شديداً، وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله، وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، المعروف بالقباع، أحد بني مخزوم، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر، فقدم البصرة، فكتب إليه حارثة ابن بدر يسأله الولاية والمدد، فأراد توليت، فقال له رجل من بكر بن وائل: إن حارثة ليس بذاك، إنما هو رجل شراب"[٨٨].

لم ترد هذه الرواية عند أي مؤرخ آخر، عدا ما ذكره الطبري[٨٩] عن تولية ابن الزبير لعمر بن عبيد الله، ونصها: " حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد قال كتب ابن الزبير إلى عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي بعهده على البصرة ووجه به إليه فوافقه وهو متوجه يريد العمرة".

اورد المبرد مادة تاريخية مهمة عن تولية الامويين للمهلب بن ابي صفرة لحرب الخوارج، إذ ذكر ما نصه: " ثم إن حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى، فعبرت إليه الخوارج، فهرب وأصحابه يركض، حتى أتى دجيلاً، فجلس في سفينة، واتبعه جماعة من أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه، والخوارج وراءه وقد توسط حارثة، فصاح به: يا حارث؛ ليس مثلي ضيع، فقال للملاح: قرب، فقرب إلى جرف، ولا فرضة هناك، فطفر بسلاحه في السفينة، فساخت بالقوم جميعاً، وأقام ابن الماحوز يجبي كور الأهواز ثلاثة أشهر، ثم وجه الزبير بن علي نحو البصرة، فضج الناس إلى الأحنف، فأتى القباع فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلاً، قال: فسموا رجلاً، فقال الأحنف: الرأي لا يخيل، ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة"[٩٠].

تعد مادة المبرد عن قتال المهلب بن ابي صفرة للخوارج من افضل ما وصل الينا من مادة تاريخية، إذ فصل المبرد فيها اكثر من أي مؤرخ آخر، ذاكراً تفاصيل مهمة عن احداث هذه المرحلة من تاريخ الدولة الاموية. فيذكر: "فكتب المهلب إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّ الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنا لقينا لأزارقة المارقة بحد وجد، فكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر، بنيات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فصاروا درئة رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز، ارجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها، والسلام، وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه".

وكذلك ساق المبرد روايات عديدة بين فيها امكانيات المهلب العسكرية وخبرته في قتال الخوارج، قائلاً: " سار المهلب يوماً يطوف بعسكره ويتفقد سواده، فوقف على جبل فقال: إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كميناً، فبعث عشرة فوارس، فاطلعوا على المائة. فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا، وكسفت الشمس، فصاحوا بهم: يا أعداء الله، لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم، ثم يئس الزبير من ناحية المهلب، فضرب إلى ناحية أصبهان، ثم كر راجعاً إلى أرجان، وقد جمع جموعاً، وكان المهلب يقول: كأني بالزبير وقد جمع جموعاً، فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم، ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم. فجاءوه من أرجان فألفوه مستعداً آخذاً بأفواه الطرق، فحاربوه فظهر عليهم ظهوراً بينا"[٩١].

لم ترد هذه الروايات بهذا التفصيل عند باقي المؤرخين، فقد جاءت رواياتهم بشكل مختصر نوعاً ما قياساً بما ذكره المبرد. وتعد رواية ابن الاثير[٩٢] افضل ما جاء في مصادر التاريخ عن قتال المهلب للخوارج فقد ذكر ما نصه:" وأما المهلب فإنه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا عنه إلى الأهواز فسير المهلب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخبارهم فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى فلما وصل الأهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بي أبي صفرة فجال أصحابه ثم عادوا . فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم واقد مولى أبي صفرة إلى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف . وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على تعبية ويتولى الحرس نفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وأبلى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه أثره ونادى المهلب أصحابه فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى إلا من جهة واحدة".

اورد المبرد[٩٣] مادة تاريخية مهمة عن قضية تولية مصعب بن الزبير للبصرة، ومشورته المهلب في امر الخوارج، فذكر ما نصه:" وصار مصعب إلى البصرة، فسأل: من يستكفي أمر الخوارج ويفد إلى أخيه، فشاور الناس، فقال قوم: وَل عبيد الله بن أبي بكرة. وقال قوم: ول عمر بن عبيد الله بن معمر، وقال قوم: ليس لهم إلا المهلب فارددِه إليهم، وبلغت المشورة الخوارج، فأداروا الأمر بينهم، فقال قطري بن الفجاءة المازني: إن جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة، أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره؛ وإن جاءكم عمر بن عبيد الله بن معمر أتاكم شجاع بطل فارس جاد، يقاتل لدينه وملكه، وبطبيعة لم أر مثلها لأحد، فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه؛ وإن رد المهلب فهو من قد عرفتموه، إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمده إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه لا يبدأكم إلا أن تبدأوه، إلا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر والثعلب الرواغ، والبلاء المقيم، فولى عليهم عمر بن عبيد الله. وولاه فارس، والخوارج بأرجان، وعليهم الزبير بن علي السليطي، فشخص إليهم فقاتلهم، وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعباً ولى عمر بن عبيد الله قال: رماهم بفارس العرب وفتاها"[٩٣].

لم ترد هذه الرواية سوى عند ابن ابي حديد[٩٤] الذي غالباً يعتمد على المبرد إذ ذكر ما نصه:" وصار مصعب إلى البصرة لينفر إلى أخيه بمكة . فشاور الناس فيمن يستكفيه أمر الخوارج، فقال قوم : ول عبد الله بن أبي بكرة، وقال قوم : ول عمر بن عبيد الله بن معمر، وقال قوم : ليس لهم إلا المهلب فارددِه إليهم، وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم، فقال قطري بن الفجاءة المازني - ولم يكن أمروه عليهم بعد - : إن جاءكم عبد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح كريم جواد مضيع لعسكره، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم فارس شجاع، بطل جاد، يقاتل لدينه ولملكه، وبطبيعة لم أر مثلها لأحد، فقد شهدته في وقائع، فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس، حتى يشد على قرنه ويضربه، وإن رد المهلب فهو من قد عرفتموه، إذا أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الاخر، يمده إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدؤكم إلا أن تبدأوه، إلا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر ، والثعلب الرواغ، والبلاء المقيم، فولى مصعب عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر، ولاه فارس، والخوارج بأرجان يومئذ، وعليهم الزبير بن علي السليطي، فشخص إليهم فقاتلهم، وألح عليهم حتى أخرجهم منها، فألحقهم بأصبهان، فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى حرب الخوارج عمر بن عبيد الله، قال : رماهم بفارس العرب وفتاها، فجمع الخوارج له، وأعدوا واستعدوا، ثم أتوا سابور، فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ، فقال له

مالك بن أبي حسان الأزدي: إن المهلب كان يذكى العيون، ويخاف البيات، ويرتقب الغفلة، وهو على أبعد من هذه المسافة منهم".

ويستطرد المبرد بالحديث عن الصراع مع الخوارج في ولاية مصعب بن الزبير على البصرة، من خلال ايراده روايات تاريخية مفصلة تعد مصدراً مهماً لكل المؤرخين الذين كتبوا عن الخوارج. وبالتالي فأن مادة المبرد عن هذه المرحلة تعد من افضل ما وصل الينا.

ثم يستطرد قائلاً: " وعزل مصعب بن الزبير وولي حمزة بن عبد الله بن الزبير، فوجه المهلب إليهم، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز، ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة، والخوارج بأطراف أصبهان والوالي عليها عتاب بن ورقاء الرياحي، فأقام الخوارج هناك شيئاً يجبون القرى، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس، فكتب مصعب إلى عمر بن عبيد الله: ما أنصفتنا، أقمت بفارس تجبي الخراج ومثل هذا العدو يحاربك، والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك، وخرج مصعب من البصرة يريدهم، وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم، فتنحى الخوارج إلى السوس، ثم أتوا المدائن، فقتلوا أحمر طيئ، وكان شجاعاً، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر.... ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة، فلما خالطوا سوادها، ووليها الحارث بن عبد الله القباع فتثاقل عن الخروج وكان جباناً، فذمره إبراهيم بن الأشتر، ولامه الناس، فخرج متحاملاً حتى أتى النخيلة، وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج، والخوارج يفشون، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلة، ثما أرادوا قتلها، فقالت: أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، فقال قائل منهم: دعوها، فقالوا: قد فتنتك، ثم قدموها فقتلوها، ثم قربوا أخرى، وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما، فقطعه القباع، وهو في ستة آلاف، والمرأة تستغيث به وهي تقول: علام تقتلونني، فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت، والناس يتفلتون إلى الخوارج، والقباع يمنعهم، فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر... "[٩٥].

وردت هذه الرواية عند الطبري[٩٦] بشكل مقتضب، فقد ذكر ما نصه:" وفى هذه السنة – سنة٦٧هـ - عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها فاختلف في سبب عزله إياه عنها وكيف كان الامر في ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر قال حدثني علي بن محمد قال لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار واستخلف على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر فقتل المختار ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده واعتذر إليه من عزله وقال والله إني لاعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ولكني رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه".

كما وردت ايضاً عند عند ابن ابي حديد[٩٧] بشكل مطابق لما اورده المبرد.

ثم يختم حديثه عن هذه الحروب بقوله: " وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه، حتى طال عليهم المقام، ولم يظفروا منه بكبير، فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا، لا يمرون بقرية بين أصبهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها. وشاور المصعب الناس فيهم، فاجتمع رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته، فقال لهم القطري: إن جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع في أول المقنب ولا يظفر بكبير، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم، فإما له وإما عليه، وإن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه، ويأخذ منكم ولا يعطيكم، فهو البلاء اللازم، والمكروه الدائم... ثم انحط الزبير بن علي على أصبهان، فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر، وعتاب يحاربه في بعضهن. فلما طال به الحصار قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ والله ما تؤتون من قلة، وإنكم لفرسان عشائركم، ولقد حاربتموهم مراراً فانتصفتم منهم، وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه، فقاتلوا القوم وبكم قوة، من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي إلى قرنه، فلما أصبح الغد، صلى بهم الصبح، ثم خرج بهم إلى الخوارج وهم غارون، وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين، فقال: من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين، ومن أراد الجهاد فليخرج معي. فخرج في ألفين وسبعمائة فارس، فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم، فقاتلوا بجد لم ير

الخوارج منهم مثله، فعقروا منهم خلقاً كثيراً وقتلوا الزبير بن علي، وانهزمت الخوارج، فلم يتبعهم عتاب"[٩٨].

ساق المؤرخون[٩٩] روايات عديدة عن الصراع الذي دار بين المهلب بن ابي صفرة والخوارج، الا ان الرواية التي ذكرها المبرد لم ترد سوى عند ابن ابي حديد[١٠٠].

اورد المبرد[١٠١] مادة تاريخية مهمة عن ولاية القطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له قائلاً: " ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم، فأرادوا تولية عبيد بن هلال، فقال: أدلكم على من هو خير مني، من يطاعن في قبل، ويحمي في دبر، عليكم قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوه، فوقف بهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، أمض بنا إلى فارس، فقال: إن بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر، لكن نصير إلى الأهواز، فإن خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها، فأوا الأهواز، ثم ترفعوا عنها إلى إيذج[١٠٢] وكان المصعب قد عزم على الخروج إلى باجميرا[١٠٣]، فقال لأصحابه: إن قطرياً قد أطل علينا، وإن خرجنا عن البصرة دخلها، فبعث إلى المهلب فقال: اكفنا هذا العدو، فخرج إليهم المهلب، فلما أحس به القطري، يمم كرمان، فأقام المهلب بالأهواز، ثم كر قطري عليه وقد استعد، فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجنن، فحاربهم المهلب، فنفاهم إلى رام هرمز".

كما اورد المبرد[١٠٤] رواية اخرى مهمة بين فيها تقلب الناس في ولائهم في عهد الدولة الاموية، قائلاً: " وخرج مصعب بن الزبير إلى باجميرا، ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن، ولم يأت المهلب وأصحابه، فتواقفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج: ما تقولون في المصعب قالوا: إمام هدى، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضال مضل، فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب، وأن أهل الشأم فاجتمعوا على عبد الملك، وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته، فلما تواقفوا ناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب قالوا: لا نخبركم، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: يا أعداء الله، بالأمس ضال مضل، واليوم إمام هدى، يا عبيد الدنيا، عليكم لعنة الله".

ذكر الطبري[١٠٥] هذه الرواية بشكل اوسع، الا ان ظاهرها يؤكد ان مصدرها المبرد إذ ذكر ما نصه:" ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن ذكر حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قتل فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ألا تخبروننا ما قولكم في مصعب قالوا إمام هدى قالوا فهو وليكم في الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذلك ابن اللعين نحن إلى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالو أفأنتم منه برآء في الدنيا والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك إمامكم وأنتم الآن تتبرؤون منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا ما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك قالوا ذاك إمامنا وخليفتنا ولم يجدوا إذ بايعوه بدا من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تتبرؤون منه في الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم إمامكم وخليفتكم وقد قتل إمامكم الذي كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذاك إذ كان ولى أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذاك قالوا لا والله ولكنكم إخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا".

لم ترد هذه الرواية عن أي من المؤرخين سوى الطبري، و ابن ابي حديد[١٠٦] الذي نقلها بشكل يكاد يكون مطابقاً لرواية المبرد.

ومن الروايات المهمة الاخرى التي ساقها المبرد[١٠٧] هي استعدادات الامويين في عهد عبد الملك بن مروان لقتال الخوارج إذ ذكر ما نصه: " وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالداً بجيش كثيف، أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ففعل، فقدم عليه عبد الرحمن، فأقام قطري يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوماً، فقال المهلب لمولى لأبي عيينة: انتبذ إلى ذلك الناووس فبت عليه في كل ليلة، فمتى أحسست خبراً من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل إلينا. فجاء ليلة فقال: قد تحرك القوم. فجلس المهلب بباب الخندق، وأعد قطري سفناً فيها حطب فأشعلها ناراً، وأرسلها على سفن خالد، وخرج في أدبارها حتى خالطهم. فجعل لا يمر برجل إلى قتله، ولا بدابة إلا عقرها، ولا بفسطاط إلا هتكه. فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج في مائة فارس، فقاتل وأبلى يومئذ، وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسناً؛ وخرج فيروز حصين في مواليه، فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه، فأثر أثراً جميلاً، فصرع يزيد بن المهلب يومئذ، وصرع عبد الرحمن، فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا، وسقط فيروز حصين في الخندق، فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه، فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم، وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء، فجعل لا يرى إلا قتيلاً أو صريعاً، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كدن نفتضح، فقال خندق على نفسك، فإلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكفني أمر الخندق، فجمع له الأحماس، فلم يبق شريف إلا عمل فيه، فصاح بهم الخوارج: والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد دمر عليكم. وكانت الخوارج تسمي المهلب الساحر، لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبق إلى نقض تدبيرهم".

على الرغم من المادة التاريخية الواسعة التي وصلت الينا الصراع ما بين الامويين في عهد عبد الملك مع الخوارج، الا ان هذه الرواية لم يذكرها أي من المؤرخين بهذه الصورة، فوصف الخوارج للمهلب بالساحر، لم ترد سوى عند المبرد، ونقلها عنة ابن ابي حديد[١٠٨].

ختم المبرد حديثه عن الخوراج بإيراده مادة تاريخية غاية في الاهمية، عن ولاية الحجاج للعراق وامره مع الخوارج، مبيناً سياسة الحجاج القائمة على العنف في تحشيد الناس لقتال الخوارج، فذكر ما نصه: " فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في عدد قليل، فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق، فدخل الكوفة قبل البصرة، وذلك في سنة خمس وسبعين، فخطبهم وتهددهم، وقد ذكرنا الخطبة متقدماً. ثم نزل فقال لوجوه أهلها: ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا: كانت تضرب وتحبس، فقال الحجاج: ولكن ليس لهم عندي إلا السيف، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء، ولا عز دين، ثم جلس لتوجيه الناس، فقال: قد أجلتكم ثلاثاً، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلته، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصياً، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه، فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنف لكم مني، وهو أشد بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جأشاً، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جساءه، فقال له الحجاج: إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي، وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه"[١٠٩].

ثم يورد رواية اخرى عن دخوله البصرة وتحشيده الناس للقتال قائلاً: " وأتى الحجاج البصرة، فكان عليهم أشد إلحاحاً وقد كان أتاهم خبره بالكوفة، فتحمل الناس قبل قدومه، فأتاه رجل م بني يشكر، وكن شيخاً كبيراً أعور، وكان يجعل على عينه العوراء صوفة، فكان يلقب ذا الكرسفة، فقال: أصلح الله الأمير، إن بي فتقاً، وقد عذرني بشر، وقد رددت العطاء، فقال: إنك عندي لصادق، ثم أمر به فضربت عنقه"[١١٠].

تفرد المبرد بذكر هاتين الروايتين، فلم ترد عند أي من المؤرخين، وبالتالي فأن مادة المبرد التاريخية تعد من افضل ما وصل الينا عن الخوارج.

ثم يورد المبرد[١١١] مادة تاريخية واسعة عن المراسلات التي دارت بين الحجاج والملهلب، تعد من افضل ما وصل الينا على الاطلاق، ولعل من بين اهم هذه المراسلات ما نصه: " وكتب إلى المهلب

من قبل الوقعة: أما بعد، فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشي وعباد بن حصين الحبطي. واخترتك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد، فالقهم يوم كذا في مكان كذا، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا: إنه أمير، فلا تغلظ عليه في الجواب، فكتب إليه المهلب: ورد علي كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما، واخترتني وأنا رجل من الأزد، ولعمري إن شراً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل، لم تستقر في واحدة منهن. وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا، في مكان كذا، أشرعت إلي صدر الرمح، فلو فعلت لقبلت إليك ظهر المجن، والسلام".

لم ترد هذه المراسلات في أي من مصدر التاريخ الاسلامي، بالتالي تكون مادة المبرد من افضل ما وصل الينا عنها.

ثم ينتقل المبرد[١١٢] الى المعارك التي دارت بين المهلب والخوارج، فينقل لنا مادة تاريخية مهمة ومفصلة تعد مصدراً لا غنى عنه لكل من يريد ان يبحث في اخبار الخوارج وحروبهم، ثم يختم حديثه بالحديث عن انتصارات المهلب على الخوارج بقوله: " وكان كتاب المهلب إلى الحجاج: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه، الذي وصل المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألا ينقطع المزيد منه٤ حتى ينقطع الشكر من عباده، أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكنا ونحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة، ونوم به الرضيع، فانتهزت منهم الفرصة في وق إمكانها، وأدنيت السواد من السواد، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله".

ثم يسرد لنا المبرد[١١٣] رواية مهمة عن ثناء الحجاج على جهود المهلب بقوله: " فكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإن الله عز وجل قد فعل المسلمين خيراً، وأراحهم من حد الجهاد، وكنت أعلم بما قبلك، والحمد لله رب العالمين فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم، ونفل الناس على قدر بلائهم، وفضل من رأيت تفضيله، وإن كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلاً تقوم بإزائهم، واستعمل على كرمان من رأيت، وول الخيل شهماً من ولدك، ولا ترخص لأحد في اللحاق بمنزلة دون أن تقدم بهم علي، وعجل القدوم، إن شاء الله، فولى المهلب ابنه يزيد كرمان، وقال له: يا بني، إنك اليوم لست كما كنت، إنما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج، ولن تحتمل إلا على ما احتمل عليه أبوك، فأحسن إلى من معك، وإن أنكرت من إنسان شيئاً فوجهه إلي، وتفضل على قومك إن شاء الله، قال أبو العباس: وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامه وبره، وقال: يا أهل العراق، أنتم عبيد المهلب".

جاءت هذه الرواية عند ابن الاثير[١١٤]، وابن خلدون[١١٥] بشكل مطابق لما اورده المبرد.

نتائج الدراسة

- تبين لنا من خلال تتبع اخبار الخوارج في كتاب الكامل في اللغة والادب للمبرد ان هناك قيمة تاريخية عليا لمصادر الادب العربي لا تقل اهمية عن مصادر التاريخ.
- ركز المبرد على ذكر اخبار الخوارج بشكل مفصل في كتابه الكامل في اللغة والادب، لما كان يتمتع به رجال هذه الفرقة من فصاحة وعذوبة في القول.
- تعد مادة المبرد من اقدم ما وصل الينا عن الخوارج، بالتالي فان مادته اصبحت مصدرا لا غنى عنه لأي باحث يرغب بالكتابة عن هذه الفرقة.
- اراد المبرد ان يبين عقائد هذه الفرقة وانحرافها الفكري من خلال ايراده للعديد من الروايات التي وصف بها مواقفهم المتطرفة من المجتمع الاسلامي.
- اخذ عدد كبير من المؤرخين مادتهم عن المبرد بشكل يكاد مطابقاً، وحاول البعض ان يشذب منها او يزيد عليها قليلاً.

- ان مصادر الادب لا تقل قيمة عن مصادر التاريخ من حيث اهتمامها بالعامل السياسي واثره في حركة التاريخ الاسلامي.
- كانت مادة المبرد عن فرقة الخوارج اكثر تفصيلاً من باقي المؤرخين لذلك اصبح كتاب الكامل في اللغة والادب اهم مصدر عن هذه الفرقة لسعة مادته وتنوعها.
- استطاع المبرد ان يتتبع هذه الفرقة حاصدا نتاجاتهم الادبية بالإضافة الى اثرهم السياسي ومواقفهم التاريخية.

الهوامش

١- الكامل في اللغة والادب، ٢٨٤/٢-٢٨٥.
٢- البخاري، صحيح البخاري،٢٠٥/٥.
٣- شرح نهج البلاغة، ١٨٣/١٣.
٤- الكامل في اللغة والادب، ٦٠٢/٢.
٥- احمد بن حنبل، مسند احمد،٦٤/٣.
٦- البخاري، صحيح البخاري، ٢١٩/٨.
٧- سنن ابن ماجة، ٦٢/١.
٨- سنن ابو داوود، ٤٢٨/٢.
٩- سنن النسائي،١٢٠/٧.
١٠- المستدرك، ١٤٧/٢.
١١- ابن قدامة، المغني، ٧٣/١؛ وابن حزم، المحلى، ١٠٣/١١؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،٢٠١/٦٦؛ وابن الجوزي، الموضوعات،٥٥/٣؛ وابن الاثير، النهاية في غريب الحديثن٣٣٣/٣؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ٢٤٢/٦.
١٢- الكامل في اللغة والادب، ٦٠٣/٢.
١٣- المصنف، ٧٤٠/٨.
١٤- تاريخ الطبري،٦٨/٤.
١٥- تاريخ بغداد، ١٦٨/١.
١٦- مناقب آل ابي طالب، ٣٧٢/٢.
١٧- الكامل في التاريخ، ٣٤٨/٣.
١٨- تامرا: نهر في ديالى، وديالى وتامرا نهر واحد. ينظر: معجم البلدان، الحموي، ٧/٢.
١٩- : اللخقوق : مسيل الماء والطرفاء هي شجر الطرفة. ينظر: ابن منظور، ٢٢٠/٩، الزبيدي، تاج العروس، ٢٢٦/١٣.
٢٠- شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٢.
٢١- المزي، تهذيب الكمال،١٧٦/١٤؛ والذهبي، تاريخ الاسلام، ٣٩٤/١؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ٩٢/٦.
٢٢- الكامل في اللغة والادب، ٥٧٨/٢.
٢٣- الكامل في اللغة والادب، ٥٧٨/٢.
٢٤- البلاذري، انساب الاشراف، ٣٣٣.
٢٥- الملل والنحل، ١٦٦/١.
٢٦- الكامل في اللغة والادب، ٥٩٦/٢.
٢٧- انساب الاشراف، ٣٥٦.
٢٨- الارشاد، ٢٧٠/١.
٢٩- السنن الكبرى، ١٨٠/٨.
٣٠- تاريخ الاسلام، ٤٨٧/٣.
٣١- شح نهج البلاغة، ٢٧٨/٢.
٣٢- الاخبار الطوال، ١٤٩.
٣٣- تاريخ الطبري، ٣٧/٤.
٣٤- الكامل في اللغة والادب، ٥٦٨/٢.
٣٥- المائدة/٩٥.
٣٦- مريم/٩٧.
٣٧- الكامل في اللغة والادب، ٥٧٨/٢.

٣٨- النساء/٣٥.
٣٩- حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فنسبوا إليها. ينظر: الحمو، معجم البلدان،٢٤٥/٢.
٤٠- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٢/٢-٥٨٣.
٤١- البري، الجوهرة، ١٠٨.
٤٢- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٣/٢.
٤٣- شرح نهج البلاغة، ٢٧٧/٢.
٤٤- الكهف/١٠٣.
٤٥- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٣/٢.
٤٦- الطبري، جامع البيان، ٤٣/١٦.
٤٧- شرح نهج البلاغة، ٢،٢٧٨.
٤٨- الكامل في اللغة والادب، ٦١٤/٢.
٤٩- تاريخ الطبري، ١٢٤/٢.
٥٠- الكامل في اللغة والادب، ٢،٥٨٣.
٥١- الكامل في اللغة والادب، ٦١٦/٢.
٥٢- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٩/٢.
٥٣- ابن سعد، الطبقات، ٣٤/٣؛ البلاذري، انساب الاشراف،٥٠٤؛ المفيد، الارشاد، ١٢/١؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٤/١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧٣/١٨.
٥٤- تاريخ اليعقوبي، ٢١٢/٢.
٥٥- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٨/٢.
٥٦- الطبري، تاريخ، ١١٠/٤.
٥٧- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٩/٢.
٥٨- ابن حجر، الاصابة، ٥٥٤/٦.
٥٩- الكامل في اللغة والادب، ٥٨٨/٢.
٦٠- الطبري، تاريخ، ١١٤/٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦١/٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣١٨/٢.
٦١- الكامل في اللغة والادب، ٦١٤/٢.
٦٢- وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٤٩٩/١.
٦٣- العقد الفريد، ١١٨/١.
٦٤- شرح نهج البلاغة، ٩٨/٥.
٦٥- الكامل في اللغة والادب، ٦١٥/٢.
٦٦- شرح نهج البلاغة، ٩٨/٥.
٦٧- الكامل في اللغة والادب، ٦٢٧/٢.
٦٨- الكامل في اللغة والادب، ٦٢٨/٢.
٦٩- الكامل في اللغة والادب، ٦٠٩/٢.
٧٠- شرح نهج البلاغة، ٨١/٥.
٧١- الكامل في اللغة والادب، ٦٤١/٢.
٧٢- مسند احمد، ٣٥٩/٢.
٧٣- سنن الترمذي، ٣٥٩/٤.
٧٤- الكامل في اللغة والادب، ٦٤٥/٢.
٧٥- الكامل في اللغة والادب، ٦٤٢/٢.
٧٦- نوح/٢٦-٢٧.
٧٧- القعد: الذين لا يمضون الى القتال. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٨/٣.
٧٨- السمعاني، الانساب، ٥٤٨/٣.
٧٩- الكامل في اللغة والادب، ٦٤٦/٢.
٨٠- شرح نهج البلاغة، ١٣٩/٣.
٨١- الكامل في اللغة والادب، ٦٤٧/٢.

٨٢- البيهسية : صنف من الخوارج ، نسبوا إلى أبى بيهس هيصم بن جابر ، أحد بنى سعد بن ضبيعة بن قيس. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٩١٠/٢.
٨٣- الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض المري. ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ١٤٥/٣.
٨٤- أما الصفرية : فهم طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية. ينظر، السمعاني، الانساب، ٥٤٨/٣.
٨٥- والنجدات : صنف من الخوارج، وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. ينظر: السمعاني، الانساب، ٢٧٤/٤.
٨٦- الكامل في اللغة والادب، ٦٤٨/٢.
٨٧- الدينوري، ٢٧٣.
٨٨- الكامل في اللغة والادب، ٦٥٥/٢.
٨٩- الطبري، ٤٠٧/٤.
٩٠- الكامل في اللغة والادب، ٦٥٦/٢.
٩١- الكامل في اللغة والادب، ٦٦٧/٢-٦٦٨.
٩٢- الكامل في التاريخ، ١٩٧/٤.
٩٣- الكامل في اللغة والادب، ٦٧١/٢.
٩٤- شرح نهج البلاغة، ١٩٥/٤-١٦٠.
٩٥- الكامل في اللغة والادب، ٦٧٣/٢-٦٧٤.
٩٦- تاريخ الطبري، ٥٧٧/٤.
٩٧- شرح نهج البلاغة، ١٦٤/٣.
٩٨- الكامل في اللغة والادب، ٦٧٥/٢.
٩٩- الطبري، تاريخ، ٤٨/٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٤٣/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٦/٨.
١٠٠- شرح نهج البلاغة، ١٦٦/٢.
١٠١- الكامل في اللغة والادب، ٦٧٨/٢.
١٠٢- ايذج: كورة وبلد بين خوزستان واصبهان. ينظر المحموي، معجم البلدان، ٢٨٨/١.
١٠٣- باجميرا: بضم الجيم، وفتح الميم، وبالياء أخت الواو، والراء المهملة المفتوحة، موضع من سواد الكوفة. ينظر: الاندلسي، معجم ما استعجم، ٢٢٠/١.
١٠٤- الكامل في اللغة والادب، ٦٧٩/٢.
١٠٥- الطبري، ١٥١/٥.
١٠٦- شرح نهج البلاغة، ١٦٩/٤.
١٠٧- الكامل في اللغة والادب، ٦٨٠/٢.
١٠٨- شرح نهج البلاغة، ١٧٣/٤.
١٠٩- الكامل في اللغة والادب، ٦٨٩/٢.
١١٠- الكامل في اللغة والادب، ٦٩٠/٢.
١١١- الكامل في اللغة والادب، ٦٩٢/٢.
١١٢- الكامل في اللغة والادب، ٧١٣/٢-٧١٤.
١١٣- الكامل في اللغة والادب، ٧١٤/٢.
١١٤- الكامل في التاريخ، ٤٤١/٤.
١١٥- تاريخ، ١٦١/٣.

Bibliography:

- alquran alkarim.
- abin 'abi alhudid, abu hamid eabd alhamid bin habat allahi(ti656hi/1258ma), sharah nahj albalaghat , taha: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar 'iihya' alkutub alearabiati, (alqahirat - 1959m) .
- abn al'athir, abu alhasan ealii bin 'abi alkarma(t630h/1232mi), - alkamil fi altaarikhi, taha: eabd allah alqadi, dar alkutub aleilmiati, (birut-1988ma). - alnihayat fi gharayb alhaditha, taha: tahir aihmad alzaawi w mahmud muhamad altanahi, muasasat asmaeilian, (qm-1945).
- alandilsi, abi eubayd eabd allh bin eabd aleaziza(t487h/1382mi), muejam ma astuejim min asma' albilad walmawadiei, taha: mustafaa alsuqaa, ealam alkutab, (birut-1983).
- albukhari , 'abu eabd allh muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahima(t:256hi/869mi), altaarikh alkabir , almaktabat al'iislamiat , (dyar bikr - la . ta).
- albari, abi bakr ahmad bin alhusayn bin eili(ta:q7hu), aljawharat fi ainsab eali walih, taha: muhamad altuwnji, dar alaelami, (birut-1982).
- albaladhiri, aihmad bin yahyaa bin jabir(ti279h/892mi), ansab al'ashrafi, taha: muhamad baqir almahmudi, muasasat alaeilami lilmatbueati, ta1, (birut - 1974).
- albihaqi, abi bakr ahmad bin alhusayn bin ahmad bin muhamadin(t485h/1066mi), alsunan alkubraa, dar alfikri, (birut-la.ti).
- abn aljuzi, 'abu alfaraj eabd alrahman bin eili(ta:597hi/1200mi), almawdueati, tah: eabd alrahman muhamad euthman, almaktabat alsalafiati, ta1, (alriyad - 1966ma).
- aljawhari , 'iismaeil bin hamaad alfarabi(t:393h/1002mi), alsihah taj allughat wasihah alearabiat , taha: aihmad eabd alghafur eatara, dar aleilm lilmalayini, (birut-1407h).
- alhakim alniysaburi, abi eabd allahi(t405h-1014mi), almustadrik ealaa alsahihayni, tah: yusif eabd alrahman almareashali, dar alfikri, (biruti-la.ti).
- abin hajar, shihab aldiyn ahmad bin eali aleasqalani(ti:852hit/1448mi), al'iisabat fi tamyiz alsahabati, taha: eadil ahmad eabd almawjud , dar alkutub aleilmiati, ta1, (birut - 1415h).
- abin hazma, eali bin ahmad bin saeid, (t 456h/1064mi), almuhalaa bialathar, taha: eabd alghafaar albindari, dar alfikri,(birut-1984).
- alhamawi , shihab aldiyn 'abu eabd allah yaqut bin eabd allah alruwmi albaghdadi(ti:626h/1228mi), muejam albuldan , dar 'iihya' alturath , ta1, (birut - 1979) .
- abin hanbul, ahmad bin muhamadin(t241h/855mi), aleilal , taha: wasiu allh bin muhamad eabaas , manshurat almaktab al'iislamii , ta1, (birut- 1998) .
- alkhatib albaghdadiu, al'iimam alhafiz 'abi bakr ahmad bin eili(ta:463h/1070mi), tarikh baghdad , taha: mustafaa eabd alqadir eata , dar alkutub aleilmiat , (birut-1417h).
- abn khaldun, eabd alrahman bin muhamadu(t:808h/1405mi), aleibar (tarikh abn khaldun), muasasat alaelami, ta4, (birut-la.ti) .
- abi dawud, sulayman bin aliashaeath alsijistani(ti275hi/888ma), sunan abu dawwud, taha: saeid muhamad allahami, dar alfikri, (birut-1990).
- aldiynuri , 'abu hanifat aihmad bin dawud(t:282h/895ma), li'akhbar altiwal , taha: eabd almuneim eamir , dar 'iihya' alturath alearabii, ta1, (birut-1960ma).
- aldhahabi , 'abu eabd allh shams aldiyn ahmad bin muhamadu(t:748h/1347ma), tarikh al'iislami, maktabat alqudsi, (alqahrati-1948mi).
- alzubaydi, muhamad murtadaa(t:1205h/1790mi), taj alearus min jawahir alqamusa, manshurat maktabat alhayati,(birut-la.ti).

- abn saed , muhamad bin saed bin maniye albasari(ta:230hi/844mi), altabaqat alkubraa , dar sadir , (bayrut - la.t) .
- alsimeani, 'abu saed eabd alkarim bin muhamad bin mansur altamimi(t:562h/1166mi), al'ansab, ta1, dar aljinan, (birut - 1988) .
- abn abi shibat, eabd allh bin muhamadu(t235h/849mi), almusanafi, taha: saeid allahami, dar alfikri, (birut-1989).
- abn shahr ashuba, mushir aldiyn abi eabd allh muhamad bin eulay(588h/1192mi), munaqib al abi talba, tah: lajnat min asatidhat alnajaf alashraf, almatbaeat alhaydariati, (alnjif-1956).
- alshahristani, 'abu alfath muhamad bin eabd alkarimi(t:548h/1153mi), almilal walnahla, taha: ahmad fahmi muhamad, dar alrawadi, ta1, (birut-1948ma).
- alsafadii, salah aldiyn abu alsafa' khalil (t764h/1363mi), alwafi balufyati, dar aleilm lilmalayini, (birut- 1988).
- altabri, 'abu jaefar muhamad bin jarir (t:310h/922ma), - tarikh alrusul walmuluk , taha: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , dar 'iihya' alturath alearabi, (birut- la.t) . - jamie albayan ean tawil ay alqurani, dar alfikri, (birut-1995).
- abn eabd rabih alandilsi, aihmad bin muhamadu(t:328h/939mi), aleaqd alfiridi, taha: muhamad saeid aleuryan, matbaeat lajnat altaalif waltarjamati, (alqahrati-1953m) .
- abin easakir , 'abu alqasim ealiin bin alhasan abn hibat allh bin eabd allh alshaafiei(ti571hi/1175mi), tarikh dimashq , tah: eali shiri, dar alfikr , (birut-1995m) .
- abn qadamat, muafaq aldiyn abi muhamad eabd allh bin ahmid(t620h/1223mi), almaghni, dar alkitaab alearabii, (birut-la.).
- abn kathir aldimashqi, 'abu alfada 'iismaeil bin eamra(t774hi/1372mi), albidayat walnihayat fi altaarikh , tah: eali shiri , dar 'iihya' alturath alearabii, ta1, (birut-1988ma). 33- abn majat, abi eabd allh muhamad bin yazid alqazwini(t275h/888ma), sunan abn majata, taha: muhamad fuaad eabd albaqi, dar alfikri, (birut-la.ti).
- almubardi, abu aleabaasi(ti285h/898mi), alkamil fi allughat waladbi, taha: jumueat alhasani, dar almaerifati, (birut-2010).
- almazi, jamal aldiyn 'abi alhajaaj yusif bin eabd alrahman (t:742h/1341m)tahdhib alkamal fi 'asma' alrijal, taha: bashaar eawad maerufun, muasasat alrisalati, ta1, (baghdad - 1986mu).
- almufidi, muhamad bin muhamad bin alnueman aleakbari albaghdadii(t:413h/1022mi), al'iirshadi, muasasat alaeilami lilmatbueat , ta5, (birut - 2001m) .
- abn manzurin, 'abu alfadl jamal aldiyn muhamad bin makrami(t:711h/1311ma), lisan alearabi, dar 'iihya' alturath alearabii , (birut-1985ma).
- alnasayiy, abu eabd alrahman ahmad bin shueayba(t303h/941ma), sunan alnasayiyi, dar alfikri, (birut-1930).
- alyaequbi, ahmad bin wadih bin 'abi yaequb albaghdadi(t:baeid292h/895mi), tarikh alyaequbi, dar sadir, (birut-la . t) .